هل يقرأ أردوغان الرسالة؟

إبراهيم الزبيدي
كاتب عراقي

مع الإقرار بأن الرئيس التركي رجب طيب أردوغان المسكون بذكريات الهيمنة العثمانية على نصف العالم، يحتاج، اليوم، إلى حروبه الخارجية في ليبيا وسوريا والعراق، أولا، لإقناع نفسه ومؤيديه بأنه وفيّ لأجداده، وقادر على إحياء تلك السلطنة التاريخية وبعثها من جديد، وثانيا، لتصدير مشاكله الداخلية إلى الخارج، وتأليب الشعب التركي على معارضيه العلمانيين والقوميين ورفاقه السابقين في حزب العدالة والتنمية ذاته، وثالثا لاستخدام الثروات الليبية لدعم اقتصاده المتعب، ولإرضاء التجار ورجال الأعمال الأتراك، وحملهم على تأييده باعتباره البطل القومي العنيد.

وهناك سبب آخر لا يقل أهمية في دوافع أردوغان إلى المغامرة الليبية. إنه الحقد الذي يكنه للرئيس المصري عبدالفتاح السيسي، والرغبة الجامحة في الثأر منه، ومعاقبته على اصطفافه مع ثورة الجماهير المصرية في 30 يونيو 2013، وقيامه باجتثاث حركة الإخوان المسلمين.

ويكفي لمضاعفة الحقد الأردوغاني على غريمه السيسي فشل ست سنوات من التشويه والتلفيق والتشويش الإعلامي والسياسي، والدعم والتمويل والتسليح والتدريب لعصابات (الجهاد) الإسلامي في سيناء وفي غيرها، والفشل الدائم في تأليب الشعب المصري ضد الحكم.

مع تزايد الدعم الشعبي المصري والعربي والدولي للنظام المصري، وتسارع حركة الإعمار والبناء والأمن الذي تحقق في مصر في عهد السيسي، الأمر الذي زاد من إصرار المصريين على رفض عودة الإخوان المسلمين إلى الحكم، وضاعف اقتناعهم بأن أردوغان والقطريين هم أعداء حقيقيون لا همَّ لهم سوى زعزعة أمنهم واستقرارهم.

والآن، وبعد الخطاب الأخير الذي تعمد الرئيس المصري عبدالفتاح السيسي أن يلقيه في قاعدة جوية مصرية على الحدود الليبية، وبحضور وزير الدفاع ورئيس الأركان وقادة الفروع الرئيسية للقوات المسلحة، هل يقرأ أردوغان هذه الرسالة الموجهة إليه وإلى حلفائه ومموليه القطريين، وإلى قادة الميليشيات الإخوانية، والتي تريد أن تقول إن لصبر المصريين حدودا، وإن مصر الحكومة والجيش والجماهير ليست لقمة سائغة؟

فبعد المبادرة المتوازنة التي طرحها السيسي وحظيت بتأييد عالمي وإقليمي واسع، ورفضها من تركيا ومن حكومة فايز السراج، لم يعد مقبولا من مصر أن تسكت، وهي ترى حدودها الغربية مهددة بالاجتياح.

وبإعلان السيسي أن مدينتي سرت والجفرة في ليبيا خط أحمر يكون قد حزم أمره على خوض ما ليس من خوضه بد، رغم مرارة خيار الحرب وتكاليفها.

> الموقف المصري يضع أردوغان في الزاوية فإما أن يجنح للسلم ويرحل ويدع الليبيين يقررون مستقبل بلادهم أو أن يخوض حربا تشير الدلائل إلى أنها لن تكون بردا وسلاما عليه

والآن أصبح علينا أن نرى ما يكون لو دخل الجيش المصري والجيش التركي عمليا وعلنيا في حرب حقيقية داخل ليبيا، وفي مياهها وأجوائها؟وأول ما نسجله هنا في هذا الخصوص أن أردوغان أعلن صراحة أن هدفه استغلال الثروات الليبية وفرض الهيمنة على الهلال النفطي قبل سواه، وبالمقابل يؤمن المواطن الليبي بأن مصر لم يثبت عليها طمع من هذا النوع.

وشيء آخر، إن أردوغان صرح علنا بأنه قادم لإحياء الاستعمار العثماني السابق لليبيا، دفاعا عن ليبيين من أصول تركية، وهذا لوحده يعيد إلى الشعب الليبي ذكريات الأيام الخوالي التي ذاق فيها مرارة المستعمر العثماني المتخلف المستبد.

فقد خاطب كتلته النيابية قائلا إن ليبيا كانت "لعصور طويلة جزءا هاما من الدولة العثمانية"، "إن نصرة أحفاد أجدادنا في شمال أفريقيا تأتي على رأس مهامنا"، و"إن أبناء كور أوغلو سواء عندنا مع تركمان سوريا والعراق وأتراك البلقان وأتراك الأهسكا في القوقاز".

أما السيسي فأت لدعم الشعب الليبي ممثلا ببرلمان منتخب، ولنجدة القبائل العربية الليبية التي استغاثت به، ولمناصرة الجيش الليبي الذي برهن عمليا على رغبته وقدرته على فرض سلطة القانون، وتحقيق الأمن في المناطق التي حررها من سطوة الميليشيات.

أردوغان آت للابتزاز والاستعمار، بدعمه لميليشيات أجمع الليبيون على أنها عصابات منفلتة عبثت بأمنهم، واعتدت على حرماتهم، وقتلت أبناءهم. والمقابر الجماعية في ترهونة شاهدة على ذلك بغير جدال.

وكما كان متوقعا فإن مصر لن تكون وحدها في حربها مع أردوغان وحلفائه في ليبيا. فقد توالت عليها المواقف الداعمة والمؤيدة لموقفها الأخير، وخصوصا من حكومات عربية أغنى كثيرا من قطر، وأقدر منها على رفد الجيش المصري بالأسلحة والمعدات، وربما بالمتطوعين، دون أن ننسى المواقف الفرنسية والروسية واليونانية والقبرصية من تركيا ومن الأضرار التي يلحقها أردوغان بمصالحها العليا.

والأهم مما سبق هو بعد المسافة بين تركيا وليبيا، وعدم وجود وسيلة لنقل المقاتلين والسلاح من تركيا إلى ليبيا سوى البحر والجو، والجيش الليبي، بمساعدة الجيش المصري، قادر، ببساطة، على تعطيل هاتين الوسيلتين.

أما مصر الملتصقة بليبيا فإن أحدا لن يستطيع أن يمنع تدفق الإمدادات العسكرية والتموينية منها إلى الداخل الليبي.

وأخيرا، فإن الموقف المصري الحاسم والحازم الأخير يضع أردوغان في الزاوية، فإما أن يتعقل ويجنح للسلم ويرحل ويدع الليبيين يقررون مستقبل بلادهم بحرية، أو أن يخوض حربا تشير الدلائل كلها إلى أنها لن تكون بردا وسلاما عليه وعلى ضباطه وجنوده وحلفائه القطريين وبقايا أعوانه الإخوان المسلمين.

العالم اليوم هو غير عالم السلطان عبدالحميد؛ منطق أردوغان العنصري الطائفي المستفز، يفسد المحبة والمودة لدى ملايين العرب لأشقائهم الأتراك، ويحول رغبتهم في التعايش والتفاهم إلى بغض له، شخصيا، وللشعب التركي الشقيق.

غزو تركي ورضا كردي والعراق يتفرج

فاروق يوسف
كاتب عراقي

قبل التنديد بالقصف التركي لشمال العراق دعونا نسأل: هل هناك سيادة عراقية على أراضي إقليم كردستان الذي تشكل المناطق المقصوفة جزءا منه؟

دهوك التي تعرضت للعدوان التركي هي محافظة عراقية ولكنها لا تخضع لسلطة ما صار يُسمى بالحكومة الاتحادية في إشارة إلى حكومة بغداد. دهوك هي جزء من كردستان وهي تخضع لحكومة أربيل العالقة بين استقلالها التام وتبعيتها الاسمية للدولة العراقية.

ذلك يعني أن سيادة كردستان هي التي تعرضت للانتهاك وليست سيادة العراق. فالأخيرة تنتهي عند حدود الإقليم الكردي المستقل.

العلاقة التي تربط أربيل وهي عاصمة الإقليم الكردي ببغداد وهي كما يُفترض عاصمة العراق كله تتخللها الكثير من المفارقات الغريبة التي تجعلها في نواح كثيرة أشبه ما تكون بالعلاقة بين دولتين أما من جهة الناحية الاقتصادية فإن على بغداد أن تعيل الإقليم.

علاقة لا تتسم بالإنصاف يمارس فيها الأكراد استغلالا واضحا لضعف الدولة العراقية الذي ترك تأثيره على صورة العراق السياسية.

للإقليم الكردي رئيس كما له حكومة بكامل طاقمها ولديه مجلس نواب له صلاحية أن يشرع القوانين المستقلة عن القوانين العراقية.

في مقابل ذلك فإن على بغداد وفقا للدستور أن تخصص مناصب سيادية للأكراد. فصار عرفا أن يكون رئيس الجمهورية العراقية كرديا بدءا بجلال الطالباني وانتهاء ببرهم صالح كما أن عددا من الوزارات السيادية كالخارجية والمالية صار من حصة الأكراد.

ذلك يعني أن أربيل تحكم في بغداد فيما لا تملك بغداد أن تقرر شيئا في أربيل.

بغداد ملزمة بأن تدفع رواتب البيشمركة وهي الميليشيا الكردية من غير أن تملك صلاحية تحريك مسلح كردي واحد.

يقبض الأكراد 17 في المئة من الميزانية الاتحادية ولا يتوقفون عن المطالبة بضم مدينة كركوك الغنية بالنفط لكي يُتاح لهم التمتع بإيراداتها.

الزعامات الكردية كلها انفصالية. كشف استفتاء عام 2017 الذي دعا إليه مسعود البرزاني عن رغبة الأكراد في الانفصال عن العراق. وبالرغم من أن تلك المحاولة قد تم إحباطها من قبل الولايات المتحدة فإن الإقليم اليوم هو دولة مستقلة لا ينقصها شيء من مقومات الاستقلال.

ما يثير العجب فعلا أن بغداد تغض الطرف عن الانفصال والانفصاليين بطريقة فيها الكثير من عدم الاكتراث بمصير ووحدة العراق.

جلال الطالباني وهو أول رئيس للجمهورية بعد مسرحية تسليم السيادة كان انفصاليا وكان يدعو علنا إلى ضم كركوك إلى الإقليم الكردي باعتبارها قدس أقداس الأكراد حسب تعبيره أما الرئيس الحالي فهو انفصالي سبق له أن دعا علنا إلى انفصال الإقليم لإقامة الدولة القومية المستقلة.

وفي المجال نفسه فقد احتكر الأكراد لأنفسهم وزارة الخارجية بدءا من هوشيار زيباري وانتهاء بفؤاد حسين الوزير الحالي الذي سبق له وأن استولى كرديا على وزارة المالية التي سبقه إليها زيباري نفسه.

لا أحد في بغداد يتساءل عن الحق الذي يحصل الأكراد بموجبه على كل هذه الامتيازات في السلطات الثلاث. وزراء ونواب ومستشارون وقضاة وقادة عسكريون وسفراء وموظفون بدرجات خاصة وما من عربي واحد مسموح له بأن يعمل في إقليم كردستان. تلك حقائق تعرفها تركيا. لذلك فهي ترى في استدعاء سفيرها في بغداد إلى وزارة الخارجية ببغداد نوعا من العتب غير الملزم. فالإقليم الكردي لا يقع ضمن السيادة العراقية ولا يعتبر دخوله عسكريا نوعا من العدوان على العراق.

وإذا ما ذهبنا أبعد في استجلاء حقيقة الموقف فإن الموقف الكردي نفسه سيكون مثيرا للشبهات. فزعامة الإقليم لا ترى في تدخل عسكري عراقي أمرا واردا فهي إن خيرت بين أن ترى جنديا عراقيا أو جنديا تركيا على أرض الإقليم فإنها ستنحاز إلى الثاني.

من جهة أخرى فإن ما تقوله تركيا من أن تدخلها جرى بعد الاتفاق مع حكومة الإقليم قد يكون صحيحا. فالحزبان الكرديان الحاكمان لا يجدان نفعا في وجود قوات حزب العمل على أراضي الإقليم إذا كان ذلك الوجود يشكل مصدر إزعاج لتركيا.

غلبت النفعية على سلوك الأكراد العراقيين مع الدولة العراقية وليس غريبا عليهم أن يكونوا نفعيين في علاقتهم مع الأكراد الأتراك أو الإيرانيين. يهمهم أن تخدم نزعتهم النفعية سيادتهم على أراضي دولتهم المؤجلة.

النظام الرأسمالي يدفع ثمن نجاحه

علي قاسم
كاتب سوري مقيم في تونس

تفكك الاتحاد السوفييتي وسقوط جدار برلين، انتصار للرأسمالية؛ لا شك في ذلك.

الحرب الباردة انتهت لصالح أصحاب رأس المال وأنصار الليبرالية، واستطاعت الولايات المتحدة ترويض الصين، وحوّلتها إلى ورشة كبيرة، تنتج فيها البضائع بكلفة رخيصة.

ولكن، نشوة النصر لم تدم طويلا، والانتصار قد يتحول إلى هزيمة، ليسجل التاريخ أن الرأسمالية دفعت ثمن نجاحها.

العدو فايروس ضعضع، خلال أقل من ستة أشهر، البنيان الرأسمالي، ناشرا الذعر؛ وبدا العالم عاجزا عن تقديم الحلول.

بعد ثلاثة أشهر من الحجر الصحي، وما بدا أنه انتصار على الجائحة، والبدء بالعودة إلى "الحياة الطبيعية"، نعود إلى نقطة الصفر ثانية، وتعود الإصابات إلى الارتفاع في دول شهدت استقرارا نسبيا.

هذه المرة لا يبدي المسؤولون حرصا على فرض التباعد الاجتماعي، لأن الثمن كان مرتفعا جدا. سيكتفي الجميع بالصلاة عسى أن تنزاح الجائحة، وهناك بشائر أن الحل بات قريبا. فالأخبار تقول إن طرح لقاح في الأسواق لن يطول موعده.

ستنزاح الجائحة، ولكن الآثار المترتبة عليها، ستبقى طويلا، والعالم بعدها لن يكون نفس العالم الذي عشناه أو سمعنا عنه. الزلزال الاجتماعي واهتزازته، ستجبر الجميع على التغير، وسيهرع أصحاب المال للبحث عن طوق نجاة.

الوباء الذي كشف للناس نقاط ضعفهم، كشف أيضا عن نقاط قوتهم، شعورهم بالعجز تحول إلى غضب؛ هل يحق لأصحاب المليارات أن يتحكموا بمصائرهم؟

ما كان لهذه الصحوة أن تحدث لولا التطور التكنولوجي، الذي سبق الوباء، والذي يعود الفضل فيه للنظام الرأسمالي نفسه، الذي أتاح للعالم خرق العزلة الاجتماعية، بتقارب افتراضي عبر الإنترنت، ومواقع التواصل الاجتماعي والذكاء الاصطناعي.

في عام 2010، هز حادث انتحار شاب حرقا، في مدينة صغيرة في تونس، العالم. قبل الحادث شهد العالم المئات من الحوادث المشابهة، دون أن يلحظها أو يسمع بها أحد.

موت الشاب التونسي، محمد البوعزيزي، منتحرا، كان يمكن أن يمر دون ترك أثر يذكر وراءه؛ لكن حدوثه في ذلك التاريخ، وفي بلد استضاف القمة العالمية للمعلومات، ويفتخر أنه في طليعة الدول الأفريقية في استخدام الإنترنت، جعل منه حدثا فارقا، ليس فقط في تاريخ تونس، بل في العالم.

ما حدث في تونس، حدث ما يشبهه في الولايات المتحدة. وإن نسي العالم الجائحة، فهو لن ينسى ما حدث في مدينة مينيابوليس، يوم 25 مايو 2020، حيث قتل المواطن الأميركي من أصل أفريقي، جورج فلويد، أثناء اعتقاله من قبل شرط.

خلال دقائق بدأ فلويد بالصراخ "لا أستطيع التنفس"، كذلك صرخ بعض المارة طالبين من الشرطي الاستجابة، وتحرير رقبة فلويد. خلال الدقائق الثلاث الأخيرة توقفت حركة فلويد وتوقف نبضه. وخلال دقائق أيضا، سُجلَت الحادثة في العديد من مقاطع فيديو الهواتف المحمولة، ليتم تداولها بين الناس على نطاق واسع، عبر صفحات وسائل التواصل الاجتماعي.

> آلام الشعوب واحدة والتوق إلى الحرية واحد منذ أول ثورة للعبيد قادها سبارتاكوس وحتى آخر ثورة تقودها اليوم تكنولوجيا الإنترنت، ولن ينقذ العالم الآن إلا نظام قائم على رأسمالية الدولة

أثار مقتل "فلويد" غضبا في المجتمع الأميركي، اندلعت على إثره مظاهرات حاشدة، امتدت إلى جميع أنحاء الولايات المتحدة، ودول العالم.

في بلجيكا، تبنى البرلمان الأوروبي قرارا يدين بشدة مقتله، الذي وصف بـ"المفزع"، وفي نفس التوقيت ندد مجلس حقوق الإنسان التابع للأمم المتحدة بالأسلوب العنصري والعنيف للشرطة، وأمر بإعداد تقرير حول "العنصرية المنظمة" ضد المواطنين من أصل أفريقي.

لماذا رأينا مثل تلك الاستجابات السريعة، السبب واضح، هناك مخاوف من أن الحريق، الذي بدأ بشرارة، قد يمتد ويتحول إلى لهب من نار يأتي على كل شيء يقف في طريقه.

حاول الأوروبيون أن يدفنوا الفتنة في مهدها، ولكن واشنطن تتصرف تماما بالطريقة التي تصرفت فيها أنظمة مغرورة، رافضة أن ترى الخطر الذي يحاصرها. وخرج علينا وزير خارجيتها، مايك بومبيو، منتقدا ما أسماه "نفاق" مجلس حقوق الإنسان في الأمم المتحدة.

ردة الفعل التي شهدتها شوارع المدن الأميركية، رأى فيها بومبيو دليلا على قوة الديمقراطية الأميركية ونضجها، مصرا على عدم التعلم من تجارب الآخرين، التي أثبتت أن الإنترنت، وليست الديمقراطية، هي ما منح الشارع القوة التي زلزلت عروش أنظمة دكتاتورية.

أما الرئيس دونالد ترامب فغرّد على تويتر منددا "بالعار" الذي لحق بالولايات المتحدة، إثر إسقاط تمثال في واشنطن لآخر جنرال كونفدرالي، من قبل الآلاف من الأميركيين الذين خرجوا لإحياء الذكرى 155 لإنهاء العبودية.

ألم نسمع مثل تلك النغمة تصدر عن أنظمة دكتاتورية تهاوت واحدة إثر الأخرى؟

آلام الشعوب واحدة، والتوق إلى الحرية واحد، منذ أول ثورة للعبيد، قادها سبارتاكوس، وحتى آخر ثورة تقودها اليوم تكنولوجيا الإنترنت.

الاختلاف اليوم أن الثورة لن تنتهي كما انتهت ثورة العبيد ضد روما، بتعليق أجساد المشاركين فيها على أعمدة تقود إلى البيت الأبيض. بل سيترتب عليها نهاية تجبر أصحاب المال والشركات الكبرى على التخلي عن 90 في المئة من أرباحهم وثرواتهم للصالح العام.

الإنترنت حررت المارد، ولن ينقذ العالم بعد اليوم إلا نظام قائم على رأسمالية الدولة، يقتسم فيه الجميع الثروة.

العرب
أول صحيفة عربية صدرت في لندن
1977 أسسها
أحمد الصالحين الهوني

رئيس مجلس الإدارة
رئيس التحرير المسؤول
د. هيثم الزبيدي

رئيس التحرير والمدير العام
محمد أحمد الهوني

مدراء التحرير
مختار الدبابي
كرم نعمة
حذام خريف
منى المحروقي

مدير النشر
علي قاسم

المدير الفني
سعيدة اليعقوبي

تصدر عن
Al-Arab Publishing House
المكتب الرئيسي (لندن)
The Quadrant
177 – 179 Hammersmith Road
London, W6 8BS, UK
Tel: (+44) 20 7602 3999
Fax: (+44) 20 7602 8778

للإعلان
Advertising Department
Tel: +44 20 8742 9262
ads@alarab.co.uk

www.alarab.co.uk
editor@alarab.co.uk